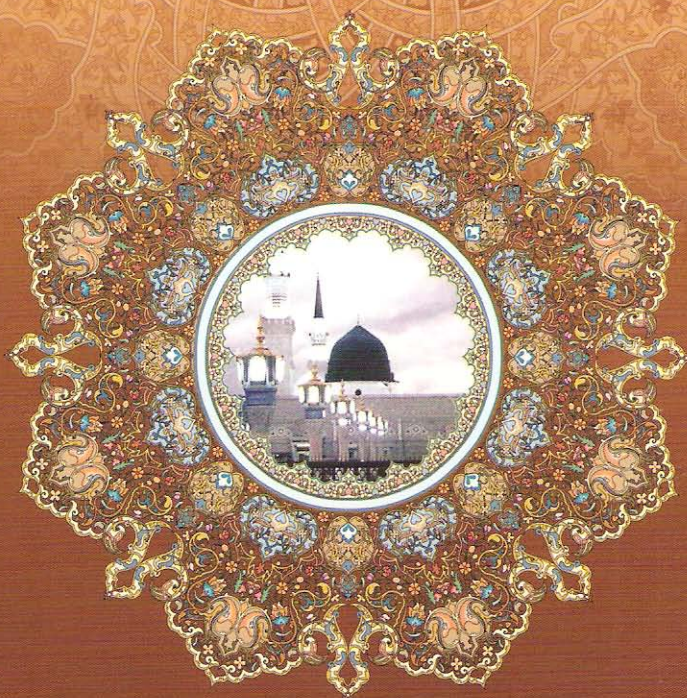


النور الأول
الرسول الأعظم
صلى الله عليه وآله



أية الله الأعظمي المجمع الديني الكبير
الشيخ الوحيد الخراساني

النور الأول

الرسول الأعظم ﷺ

آية الله العظمى الشيخ العلامة

الشيخ الوحيد الخراساني

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



دار الصدقة الشهيدة



سوريا - السيدة زينب عليها السلام تلخا كس : ٦٤٧١٤٥٩

www.tabrizi.org

tabrizi_syr@hotmail.com

دُعَاءُ الْإِمَامِ صَاحِبِ الزَّمَانِ ^ع

اَللّٰهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ
صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي
هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا
وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ اَرْضَكَ طَوْعًا
وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

يهدى ثواب طباعة هذا الكتاب

إلى روح المرحوم

الحاج أحمد غلوم تقي أشكناني رَحِمَهُ اللهُ

الفاخرة

مقدمة الدار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى
أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على
أعدائهم أجمعين.

أما بعد....

من الصعب على الإنسان العادي غير المتصل بالسماء أن يدرك
حقيقة المتصل بالسماء وبالغيب وبخالق الكون نحو اتصال!
فكيف سيمكنه أن يدرك حقيقة الإنسان الأول في عالم الوجود،
والفرد الأكمل في عالم الخليفة، الخاتم لما سبق والفتاح
لما استقبل؟

لا شك أنه لو حاول ذلك لحاول تناول الثريا في السماء وهو
قابع على وجم الأرض، فما أحراه بقول الشاعر:

هي الشمس مسكنها في السماء
فعرّ الفؤاد عزاء جميلاً

هكذا نحن إذا أردنا أن نتعرف على حقيقة النور الأول،
والعقل الأكمل، بل عقل الكل وكل العقل النبي الأعظم محمد
بن عبد الله ﷺ. ولكن لا نخلو من شيء من الشذرات نقطفها
بيدنا من خلال الكتاب الكريم، وأقواله ﷺ وكلمات الأئمة
المعصومين عليهم السلام؛ فإن هؤلاء الثلاثة هم الذين يستطيعون أن
يبينوا لنا ما نتحمله من معرفته وما يمكن لقلبنا الإنساني من
تحمله وإدراكه.

ولا شك أيضاً أننا كأفراد عاديين نتهيب من الدخول في ذلك
العالم ومن السباحة في ذلك البحر المحيط فضلاً عن أن نغوص
فيه، فلهذا نحتاج إلى من يأخذ بأيدينا ويعرفنا على الطريق
الواضح المستقيم، فلا نفع في متيه لا نعرف الخروج منه فلهذا
اخترنا لكم - أيها القراء الأعزاء - وبمناسبة ذكرى ارتحال النور
الأول والأعظم عن هذه الأرض هذا الكراس المستل من كتاب
سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد
الخراساني رحمه الله (مقدمة في أصول الدين).

والله الموفق والمسدد والهادي، والحمد لله أولاً وآخراً.

دار الصديقة الشهيدة عليها السلام

٣٠ محرم ١٤٣١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين
لا سيما بقية الله في الأرضين

الرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ

ولادته ﷺ :

ولد سابع عشر شهر ربيع الأول على المشهور عند الخاصة،
وفي الثاني عشر منه على المشهور عند العامة.

أَسْمَاؤُهُ

ومن أَسْمَائِهِ: محمد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ون، وطه،
والفاتح، والخاتم، والكاف، والمقفى، والحاشر.

صِفَاتُهُ

ومن أوصافه التي وصفه الله بها: الشاهد، والمبشر،
والنذير، والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير، ورسول الله،
وخاتم النبيين.

عَنَاوِينُهُ

ومن عناوينه التي خاطبه الله بها: يا أيّها النبي، ويا أيّها
الرسول، ويا أيّها المزمّل، ويا أيّها المدثر.

كُنَاهُ

ومن كناه: أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيب، وأبو
المساكين، وأبو الدّرّتين، وأبو الريحانّتين، وأبو السبطين.

وهي أكثر من أن تسطر وأجلّ من أن تُدرك، وكيف يمكن إدراك مكارم من هو حبيب إله العالمين، وخير الخلائق أجمعين، وخاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام الأئمة الهداة المهيدين، المخاطب من الله سبحانه بـ (طه ويس)، وهو أول العابدين وأسبق الأولين والآخرين، لقوله «بلى»^(١) حينما أخذ الميثاق على ربوبية رب العالمين.

وبكلمة واحدة، الذي هو الاسم الأعظم، والمثل الأعلى لله الملك الحق المبين.

وليس لنا إلا الاعتراف بالقصور والتقصير عن التعرض لمناقب من وصفه الله بالشاهد والمبشر والنذير والداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، غير أننا نذكر بعض ما آدب به أمته تيمناً، وليس على الله بعزيز أن يوفقنا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

وعن بكر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب دخل على النبي ﷺ وهو موقود أو قال محموم فقال له عمر: يا رسول الله ما أشد

(١) إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الأعراف: ١٧٢.

(٢) الأحزاب: ٢١.

وعكك [أو حماك!] فقال: ما منعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهن السبع الطوال. فقال عمر: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد. فقال: يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً^(١).

هذا مع تهجده المفروض عليه في كل ليلة، وقد تعبد لربه حتى انتفخ الساق وورم القدم، فأنزل الله سبحانه: ﴿طه ١ مَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾^(٢).

وعن جابر بن عبد الله: ما سئل رسول الله شيئاً قط، فيقول لا^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفاهم ذمّةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرةً، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، لم أر قبله ولا بعده مثله^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه^(٥).

(١) الأماي للشيخ الطوسي ص ٤٠٣.

(٢) سورة طه: ١ و ٢. راجع الإحتجاج ج ١ ص ٣٢٦.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٨.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٧.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٨.

كان أعداؤه يعرفونه بالأمانة، حتى اشتهر بينهم بالأمين،
ويعرفونه بالصدق، إلى أن قال أبو جهل: إنا لا نكذبك، ولكن
نكذب بما جئت به، فنزلت: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾^(١).

كان مجلسه مجلس علم، وحلم، وحياء، ووقار^(٢).
ولم تكن ركبته تتقدمان ركة جليسه^(٣). وكان خافض الطرف،
نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء^(٤).
وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يُعرض عمّن
تكلم بغير جميل^(٥).

وكان ضحكته تبسماً^(٦)، وكلامه فصلاً^(٧)، ولا يقول في الرضا
والغضب إلا الحق^(٨).
وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر^(٩).

(١) سورة الأنعام: ٣٣، مجمع البيان ج ٤، ص ٤٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٤.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام باب ٢٩ حديث ١ ص ٣١٧.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٣.

(٦) مكارم الأخلاق ص ١٣.

(٧) مكارم الأخلاق ص ٢٣.

(٨) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٧.

(٩) مكارم الأخلاق ص ١٤.

وإذا جلس إليه أحد لم يقم حتى يقوم الذي جلس إليه^(١).

وفي معتبرة جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا أو ينظر إلى ذا بالسوية، قال: ولم يبسط رسول الله رجله بين أصحابه قط، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله يده من يده حتى يكون هو التارك^(٢).

وكان في سفر، فأمر أصحابه بذبح شاة، فقال رجل من القوم يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال الآخر عليّ سلخها، وقال الآخر عليّ قطعها، وقال آخر عليّ طبخها، فقال عليه السلام: عليّ أن ألقط لكم الحطب، فقالوا يا رسول الله لا تتعبن بأبائنا وأمهاتنا أنت نحن نكفيك. قال عليه السلام: قد علمت أنكم تكفوني، ولكن الله يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم، فقام عليه السلام يلقط الحطب لهم^(٣).

وعن أنس قال: كان [لرسول الله] شربة يفرط عليها وشربة للسحر، وربما كانت واحدة، وربما كانت لبناً، وربما كانت الشربة خبزاً يماث فهيأؤها له ذات ليلة، فاحتبس النبي عليه السلام، فظننت أن بعض أصحابه دعاه، فشربتها حين احتبس، فجاء عليه السلام

(١) مكارم الأخلاق ص ١٤.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٧١.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٥٢، سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٣.

بعد العشاء بساعة، فسألت بعض من كان معه: هل كان النبي أفطر في مكان أو دعاه أحد؟ فقال: لا.

فبت ليلة لا يعلمها إلا الله خوف أن يطلبها منِّي النبي ﷺ، ولا يجدها، فبييت جائعاً، فأصبح صائماً، وما سألني عنها، ولا ذكرها حتى الساعة^(١).

وعنه قال: إن النبي ﷺ أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال له: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، وأمر له بعتاء^(٢).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل يهودي على رسول الله وعائشة عنده، فقال: السام عليكم،

فقال رسول الله: عليكم. ثم دخل آخر، فقال مثل ذلك، فردّ عليه كما ردّ على صاحبه، ثم دخل آخر، فقال مثل ذلك،

فردّ رسول الله كما ردّ على صاحبيه، فغضبت عائشة، فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا إخوة القردة والخنازير،

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٧.

فقال لها رسول الله: يا عائشة إنَّ الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء،
إنَّ الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ولم يرفع عنه قط إلا شانه...»^(١).

وفي الصحيح عن أبان الأحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه فحمل إليه اثني عشر درهماً فقال: يا عليّ خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبسه، قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله فنظر إليه، فقال: يا عليّ غير هذا أحبُّ إليّ، أترى صاحبه يقيّلنا، فقلت: لا أدري، فقال: أنظر فجئت إلى صاحبه، فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فرد عليّ الدراهم وجئت بها إلى رسول الله ﷺ، فمشى معي إلى السوق ليبْتَاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك، قالت: يا رسول الله إنَّ أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاه رسول الله ﷺ أربعة دراهم وقال: ارجعي إلى أهلِكَ، ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشتري بالأربعة

(١) لكافي ج ٢ ص ٦٤٨.

التي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله، ورجع إلى منزله وإذا
الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا
تأتين أهلك، قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف
أن يضربوني، فقال لها رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني
على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم،
ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام
فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول
السلام والثاني، قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن
نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم
فلا تؤاخذوها، فقالوا: يا رسول الله هي حرة لممشاك، فقال رسول
الله: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من هذه،
كسا الله بها عريانيين، وأعتق بها نسمة^(١).

ومع كل ما رأى من قومه من الشدائد والأذى التي لم يؤذ
نبي بمثلها^(٢) كان حريصاً عليهم ليهديهم إلى الصراط المستقيم،
وينقذهم من الجهالات والضلالات ويحييهم حياة طيبة في الدنيا

(١) الأموال للصدوق ص ٣٠٨، المجلس ٤٢ ح ٥.

(٢) إشارة إلى الحديث المشهور: (ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت) مناقب آل أبي طالب ج

٣ ص ٢٤٧، كشف الغمة ج ٢ ص ٥٣٧.

والآخرة، ولما ظفر عليهم أسكن روعتهم بقوله: «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

وفي الموثق عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله أتى باليهودية التي سمت الشاة للنبي فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله عنها»^(٢).

ومن تأمل في لطائف ما ظهر من مكارمه وتجلّى في أقواله وأفعاله يرى أنّه المبعوث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

هذا قليل من كثير، يتعذّر عدّه، وكيف تحصي مناقب من سبّح الله نفسه بإسرائه به، وقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٣)، وحمد نفسه على الكتاب الذي أنزله عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٤)، وتبارك بالفرقان الذي نزل عليه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(٥)، واختاره لأن ينجيه في الملاء الأعلى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^(٦).

(١) ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ﴾ سورة يوسف: ٩٢، (اذهبوا فأنتم الطلقاء) الكافي ج ١ ص ٥١٣، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٢٥٠.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٨.

(٣) سورة الإسراء: ١.

(٤) سورة الكهف: ١.

(٥) سورة الفرقان: ١.

(٦) سورة النجم: ١٠.

مواعظ النبي ﷺ :

ونقتصر من مواعظه على بعض ما وعظ به أبا ذرّ:

يا أبا ذرّ، أعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك.

واعلم أنّ أوّل عبادة الله المعرفة به، فهو الأوّل قبل كلّ شيء، فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو الله اللطيف الخبير، وهو على كلّ شيء قدير.

ثم الإيمان بي، والإقرار بأنّ الله تعالى أرسلني إلى كافّة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ثم حبّ أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

واعلم يا أبا ذرّ، أنّ الله ﷻ جعل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله كان آمناً.

يا أبا ذرّ، احفظ ما أوصيك به تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذرّ، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.

يا أبا ذرّ، اغتسم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذرّ، إِيّاكَ والتسوييف بأملك، فإنّك بيومك، ولست بما بعده، فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرّطت في اليوم.

يا أبا ذرّ، كم من مستقبل يوماً لا يستكملهُ، وممتظر غداً لا يبلغه.

يا أبا ذرّ، إنّ حقوق الله جلّ شأنه أعظم من أن يقوم بها العباد، وإنّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين.

يا أبا ذرّ، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت.

يا أبا ذرّ، ما دمت في الصلاة فإنّك تقرر باب الملك الجبار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له.

يا أبا ذرّ، ما من مؤمن يقوم مصلياً إلا تنثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكل به ملك ينادي يا ابن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة ومن تناجي ما انتقلت.

يا أبا ذرّ، يقول الله تبارك وتعالى: لا أجمع على عبد خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة.

يا أبا ذرّ، إنّ جبرئيل أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء، فقال لي: يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند

ربك، فقلت: يا حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها، إذا شيعت
شكرت ربي، وإذا جعت سأله.

يا أبا ذرّ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وزهده في
الدنيا، وبصره بعيوب نفسه.

يا أبا ذرّ، ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل.

يا أبا ذرّ، ما من شاب يدع الله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في
طاعة الله، إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً.

يا أبا ذرّ، إنّ الله وَجَلَّ عند لسان كل قائل، فليثق الله أمره وليعلم
ما يقول.

يا أبا ذرّ، إنّ أحبكم عند الله جلّ ثناؤه أكثركم ذكراً له،
وأكرمكم عند الله وَجَلَّ أتقاكم له، وأنجاكم من عذاب الله أشدكم
له خوفاً.

يا أبا ذرّ، من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: وما
الثلاث فذاك أبي وأمي؟ قال: ورعٌ يحجزه عما حرم الله وَجَلَّ عليه،
وحلمٌ يرد به جهل السفیه، وخلقٌ يداري به الناس.

يا أبا ذرّ، إنّ سرّك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإنّ
سرّك أن تكون أكرم الناس فاتق الله، وإنّ سرّك أن تكون أغنى
الناس فكن بما في يد الله وَجَلَّ أوثق منك بما في يدك.

يا أبا ذرّ، لو أنّ الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾^(١).

يا أبا ذرّ، طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وأنفق مالاّ جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة.

طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شرّه.

طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله^(٢).

* ولا عجب بأبي ذرّ الذي اتّعظ بهذه المواعظ، وتادّب بهذه الآداب، أن يقابل الباطل بالحق، ولا يؤثر فيه التهديد حتى أبعد عن دياره، وتحقق ما قاله الرسول ﷺ في حقه: يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويدخل الجنة وحده^(٣).

ولم يؤثر فيه التطميع، فقد أرسل إليه عثمان موليين له ومعهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبي ذرّ، فقولا له: إن عثمان يقرؤك السلام، ويقول لك هذه مائتا دينار فاستعن بها

(١) سورة الطلاق: ٢ و٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٧٤، وبتفاوت في مكارم الاخلاق ص ٤٥٩.

(٣) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٩٨، أبو ذر ٤٨.

على ما نابك. فقال أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالوا: لا، قال: إنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين، قالوا له: إنه يقول هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام، ولا بعثت بها إليك إلا من حلال، فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالوا له: عافاك الله وأصلحك ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً مما يستمتع به! فقال: بلى، تحت هذا الإكاف الذي ترون رغيفاً شعير قد أتى عليهما أيام...^(١).

وأرسل عثمان مع عبد له كيساً من الدراهم إلى أبي ذر، وقال له: إن قبل هذا فأنت حر. فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر وألح عليه في قبوله، فلم يقبل، فقال: اقبله فإن فيه عتقي، فقال: نعم، ولكن فيه رقي^(٢).

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ١١٨، أبو ذر ٥٣.

(٢) لكشكول للبهائي ج ١ ص ٢٠٨.

التحاقيه ﷺ بالرفيق الأعلى

قبض ﷺ على ما ذكره شيخ الطائفة في التهذيب^(١) مسموماً، يوم الاثنين ليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة.

ونعتذر من إيراد ما جرى عند وفاته، ونقتصر على بعض ما روته الصحاح والمسانيد: عن عبد الله بن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط. قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه^(٢).

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ﷺ قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢ كتاب المزار باب ١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ج ١ ص ٣٧.

لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال بعضهم: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله...^(١).

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا هجر رسول الله ﷺ...^(٢).

وفي صحيح البخاري: سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى، قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا ما له أهجر استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه...^(٣).

وقد روى البخاري في باب مرض النبي ﷺ ووفاته روايتين: عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم

(١) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عني ج ٧ ص ٩، وباب كراهية الخلاف ج ٨ ص ١٦١.

(٢) صحيح البخاري، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ج ٤ ص ٣١.

(٣) صحيح البخاري، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ج ٤ ص ٦٥.

الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: اتتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا فلا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهرج استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه...^(١)

ورواه مسلم في كتاب الوصية بثلاثة أسانيد^(٢).

وفي مسند أحمد بن حنبل: عن جابر أن النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، قال: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها^(٣).

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر في مادة هجر: ومنه حديث مرض النبي ﷺ «قالوا ما شأنه أهرج؟» أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام، أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به المرض؟ وهذا أحسن ما يُقال فيه، ولا

(١) صحيح البخاري، باب مرض النبي ﷺ ج ٥ ص ١٣٧.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ و ٧٦. وقد ورد هذا الحديث بمضمون الهجر في مصادر أخرى للعامة، منها: مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٢ و ٣٥٥، السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٠٧، المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ٥٧ وج ١٠ ص ٣٦١، مسند الحميدي ج ١ ص ٢٤١، مسند أبي يعلى ج ٤ ص ٢٩٨، المعجم الكبير ج ١١ ص ٣٠ و ٣٥٢، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٣٦، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٧، السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٣٣ و ٤٣٥، ومصادر أخرى للعامة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٤٦.

يجعل إخباراً، فيكون إما من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر، ولا يظنّ به ذلك^(١).

في هذه القضية أمور لا بدّ من التأمل فيها:

الأول: إنّ إطاعة الرسول ﷺ مأمور بها من الله سبحانه بنصّ الكتاب مقرونة بطاعة الله تعالى في عدة آيات، كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) ومنفردة كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

ومقتضى إطلاق الواجب والوجوب عدم الاختصاص بحال من الأحوال، وقد أكّد سبحانه وجوب إطاعته بتفريعه على أمانته في عدة آيات، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٤) فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٥)، وجعل إطاعته إطاعة الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٥) فمن لم يطع الرسول خرج عن طاعة الله.

(١) لنهاية في غريب الحديث والآثار ج ٥ ص ٢٤٥. ومن مصادر الخاصة راجع: الإيضاح ص ٣٥٩ و...، المسترشد ص ٦٨١ و ٦٨٢، أوائل المقالات ص ٤٠٦، الإرشاد ج ١ ص ١٨٤، الأمالي للمفيد ص ٣٦، الإحتجاج ج ١ ص ٢٢٣، سعد السعود ص ٢٩٧ ومصادر أخرى. (٢)

(٢) سورة آل عمران: ١٣٢.

(٣) سورة التغابن: ١٢.

(٤) سورة الشعراء: ١٤٤ ١٤٣.

(٥) سورة النساء: ٨٠.

الثاني: إن القول بأنه: «غلبه الوجد وعندنا كتاب الله» بعد أمره ﷺ «أتتوني بكتاب» عصيان للرسول، وقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾^(١)، وعصيان الله سبحانه حيث قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٣)، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٤).

الثالث: إن ما يختاره الرسول هو مختار الله سبحانه بمقتضى العقل والكتاب، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٥) والتعبير بجملته ﴿وَمَا كَانَ﴾ تنبيه على أنه حكم لا يقبل التخلف بوجه، واتّصاف موضوع الحكم بالإيمان مع أنه حكم عام للمؤمن وغيره بحكم العقل، للإعلام بأن اختيار خلاف ما اختاره الله ورسوله كاشف عن عدم الإيمان.

الرابع: إن هذه المقالة إيذاء للنبي ﷺ، وردّ على الله تعالى حيث قال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾^(٦) وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ^(٦).

(١) سورة المجادلة: ٩.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٤) سورة الجن: ٢٣.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٦) سورة النجم: ٢ و٣.

وقد ظهر شدة تأذي النبي ﷺ وتأثره من ذلك، حيث طردهم من بينه بقوله ﷺ: «قوموا عني»، مع أنه ﷺ كان إذا صافحه أحد لم يترك يده من يده حتى يكون هو التارك^(١)، وإذا جلس إليه أحد لم يقم حتى يقوم الذي جلس إليه^(٢)، وكان أحیی الناس وأكرمهم لمن يرد عليه، فقوله ﷺ «قوموا عني» يكشف عن تألمه إلى حد لم يتحمل جلوسهم عنده، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٤).

الخامس: إن هذه المقالة صارت سبباً لرفع الأصوات عند النبي ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(٥)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ﴾^(٦)، كما صارت سبباً للتنازع عنده، وقد قال سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾^(٧)، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٧١.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٧.

(٣) سورة التوبة: ٦١.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٥) سورة الحجرات: ٢.

(٦) سورة الحجرات: ٣.

(٧) سورة الأنفال: ٤٦.

الرَّسُولَ ﴿١﴾، فصار الذي جعله الله مردوداً إليه في كل أمر، مردوداً عليه في أمره!

السادس: إنَّ الغاية القصوى من إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية الإنسان وصيانته عن الضلال ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (٢)، والدعاء الذي في أم الكتاب يدعو به كل مسلم في كل صلاة هو ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٣)، والرسول الذي يرى الفتن من بعده، أشفق على أمته وأراد أن يصونهم عن الضلال بعد الهدى بكتاب يكون ضماناً لهم عن الضلال، حيث قال: «أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، وتعليق عدم الضلال على الكتاب يدلُّ على حرمان الأمة بفقد ذلك الكتاب من أعظم النعم وهو الهداية، وابتلائها بأكبر النقم وهو الضلالة!

السابع: مقولة «كتاب الله حسبنا»، مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والعقل:

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة التوبة : ٣٣ .

(٣) سورة الحمد : ٥ و ٦ .

فإنها مخالفة للكتاب إذ لا يبقى مع هذا الكلام موضوع لوجوب إطاعة الرسول، ولا للنهي عن معصيته في الآيات الكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَّا أَنْتُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ﴾^(١).

ومخالفة للإجماع القطعي على وجوب إتباع السنة لما ورد في أبواب العلم وغيره، فلو كان الكتاب كافياً لكان ما في الصحاح الست فضولاً مستغنى عنه، ومخالفة للإجماع القطعي من الرجوع إلى السنة.

ومخالفة للعقل الحاكم بأنه لا يمكن استفادة تفاصيل الأحكام في العبادات والمعاملات والسياسات من شعار «عندنا كتاب الله حسبنا».

ويدل على وضوح الأمر ما صرح به أحد من كبار أئمة العامة وهو الذهبي، أن (حسبنا كتاب الله) هو ما تقوله الخوارج^(٢)، وقد غفل عما هو موجود في عدّة أبواب من صحيح البخاري وفي غيره من الصحاح والمسانيد.

الثامن: أن النبي ﷺ مبعوث إلى كافة الناس، وأمته باقية إلى يوم القيامة، وقد أراد أن يكتب كتاباً كي لا تضل الأمة بعده، فبأي حق منعه من هذا العمل وأضاع حق الأمة بقوله «عندنا كتاب الله حسبنا»؟!.

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٣.

التاسع: روى مسلم عن عبد الرحمن بن أبزى أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماء. فقال عمر: لا تصل، فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت، فقال النبي ﷺ: إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك، فقال عمر: اتق الله يا عمار. قال: إن شئت لم أحدث به^(١).

وغير خفي أن الصلاة عمود الدين ومفتاحه الطهور، وقد قال الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٩٣، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٥، صحيح البخاري ج ١ ص ٨٧ كتاب التيمم باب التيمم هل ينفخ فيهما، سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٨٨، سنن أبي داود ج ١ ص ٨١، سنن النسائي ج ١ ص ١٦٦ و ١٧٠، السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٠٩، عون المعبود ج ١ ص ٣٥٥، مسند أبي داود الطيالسي ص ٨٩، السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥، مسند أبي يعلى ج ٣ ص ١٨٣، صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ١٣٥، صحيح ابن حبان ج ٤ ص ١٣١ و ١٣٣، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩٥١ ومصادر أخرى للعامة.

وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾
والنبي ﷺ قد بينه لهم!

وأنبأ الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنه قال أتى عمر رضي الله عنه بمبتلاة قد فجرت فأمر برجمها فمر بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعها الصبيان يتبعونها، فقال: ما هذه؟ قالوا أمر بها عمر أن ترجم، قال: فردها، وذهب معها إلى عمر رضي الله عنه، وقال: ألم تعلم أن القلم رفع عن المجنون حتى يعقل، وعن المبتلى حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم. ^(٢)

وروي عن عبد الله بن الحسن، قال دخل علي علي عمر، وإذا امرأة حبلى تقاد ترجم، قال ما شأن هذه قالت: يذهبون بي ليرجموني، فقال: يا أمير المؤمنين لأي شيء ترجم، إن كان لك سلطان عليها، فمالك سلطان على ما في بطنها. فقال عمر رضي الله عنه كل أحد أفقه مني ثلاث مرات ^(٣).

(١) سورة المائدة: ٦٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٨٩، وفي التلخیص أيضا، وج ١ ص ٢٥٨، وفي التلخیص أيضا، وج ٢ ص ٥٩، سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٣٩ بأسانيد متعددة، السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٦٩ وج ٨ ص ٢٦٤، المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٨٠، مسند ابن الجعد ص ١٢٠، السنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٣٢٣، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤٤٠، صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٠٢، وج ٤ ص ٢٤٨، صحيح ابن حبان ج ١ ص ٣٥٦، وبتفاوت في صحيح البخاري ج ٨ ص ٢١ باب رجم المحصن ومصادر أخرى كثيرة للعامة. الخصال ص ٩٣ و١٧٥، مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣ ومصادر أخرى للخاصة.

(٣) ذخائر العقبى ص ٨١، الرياض النضرة ج ٣ ص ١٤٣، كفاية الطالب ص ٢٢٧

وروى البيهقي في سننه عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: ألا لا تغلوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش، فقالت يا أمير المؤمنين: أكتب الله أحق أن يتبع أو قولك، قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟ قالت: نهيت الناس أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه ﴿وَأَتَيْتُم مِّمَّنْ قَنَظَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١) فقال عمر رضي الله عنه كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً^(٢).

وروى في السنن الكبرى أن عمر رضي الله عنه أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فقال: ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه فسأله فقال ﴿وَالْوِلْدَاتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾^(٣) وقال ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤) فستة أشهر حملة حولين تمام لا حد عليها أو قال

باب ٥٩.

(١) سورة النساء: ٢٠.

(٢) لسنن الكبرى للبيهقي ج ٧، ص ٢٣٣، كنز العمال ج ١٦ ص ٥٣٧، كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩ وج ٢ ص ١١٨ ومصادر أخرى.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٤) سورة الأحقاف: ١٥.

لا رجم عليها قال فخلى عنها^(١)، ولا ريب أنّ الجراءة على الدماء من أشد ما يحتاط الفقيه فيه، وهناك موارد أخرى، لكن نقتصر على ما ذكرنا.

وهل يمكن بهذا المبلغ من العلم بالكتاب مقابلة من أنزل الله عليه الكتاب برد كتابه بأن يقال (حسبنا كتاب الله).

العاشر: من تأمل في قوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن ينفركا حتى يردا علي الحوض لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما»^(٢) وفي قوله ﷺ: «أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» يظهر له أنّ هذا الكتاب متممٌ لذلك الحديث، لتصير الأمة مصونة عن الضلال كما قال ﷺ «لن تضلوا»، فله درّ ابن عباس حيث قال: «إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه».

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤٢، المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٣٥٠، نظم درر السمطين ص ١٣١، كنز العمال ج ٥ ص ٤٥٧، الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ وج ٦ ص ٤٠، تاريخ المدينة ج ٣ ص ٩٧٩ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) تقدم منابعه في بعض ما ذكر في صفحة ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧.

الملحق «١»

أشعة من حياة رسول الله ﷺ (١)

ونستضيء ببعض الأضواء الوهاجة من شمس حياته الساطعة،
التي هي بذاتها دليل على رسالته ونبوته ﷺ.

عندما أعلن النبي ﷺ دعوته، خافت قبائل قريش أن يطيعه
الناس، فبادروا إلى التهديد والتطميع، وجأؤوا وفداً إلى عمه أبي
طالب، وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ
آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، فإن كان يحمله على ذلك

(١) إن كتاب المرجع الشيخ الوحيد «مقدمة في أصول الدين» بحث أولاً أصول الدين
من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، ومن ثم بحث عن سيرة المعصومين الأربعة
عشر عليهم السلام، وهذا الملحق مأخوذ من بحثه عن النبوة، وما تقدم كان من بحثه
عن سيرة المعصومين عليهم السلام.

العدم جمعنا له مالا فيكون أكثر قریش مالا، ونزوجه أية امرأة شاء من قریش، حتى وعدوه بالملك والسلطنة.

فكان جوابه عليه السلام: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته»^(١).

ولما رأوا أن التطمع لم يؤثر فيه عليه السلام، وأنه ماضٍ في أمره غير عابئ بتطمعهم، عمدوا إلى التهديد والإيذاء، ومن نماذج ذلك: أنهم كانوا عندما كان يقف النبي للصلاة في المسجد الحرام يرسلون أربعة من بني عبد الدار القادة العسكريين لقریش، اثنين إلى يمينه يصفران، واثنين إلى يساره يصفقان بأيديهما ليؤذياه بذلك ويشوشا عليه صلاته!^(٢).

وذات يوم وهو في طريقه إلى المسجد رموا على رأسه التراب، أو هو ساجد فطرحوا عليه رحم شاة، فأتته ابنته وهو ساجد لم يرفع رأسه، فرفعت عنه ومسحته!^(٣).

وبعد وفاة عمّه وناصره أبي طالب، اشتدّ البلاء وزاد أذى قریش له، ففي تلك الظروف الخطيرة قصد النبي قبيلة ثقيف بالطائف وعرض عليهم أن يحموه حتى يبلغ رسالة ربه، ولكنهم أبوا

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢٢٨ ذيل آية ٤ من سورة ص.

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٦٣ ذيل آية ٣٥ من سورة الأنفال.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٤، ح ٤٣، في تفسير قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ» سورة آل عمران: ٥٤.

ذلك، وتهزؤوا به، ووجهوا عليه سفهاءهم وغلمانهم، فقعدوا له صفيين على طريقه، فلما مرّ رسول الله بين صفيّهم جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموا رجله، فخلص منهم وهما يسيلان دماً، فعمد فجاء إلى حائط من حيطانهم، فاستظل في ظلّ نخلة منه وهو مكروب موجه تسيل رجلاه دماً، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلما رآياه أرسلّا إليه غلاماً لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى، فلما جاءه قال له رسول الله: من أيّ أرض أنت؟ قال: من أهل نينوى. قال: من مدينة العبد الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال: أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى، فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خراً عداس ساجداً لله، ومعظماً لرسول الله، وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان بالدماء^(١).

وقد آذوا أصحابه بأنواع الأذى، فمنها أنّهم كانوا يطرحون بلالاً تحت حرارة الشمس، ويضعون على صدره حجراً ثقيلاً ويطلبون منه أن يكفر، فكان يردد: أحدٌ أحد!^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٦٨، مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٤ ذيل آية ٣٠ من سورة الأحقاف.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٨. تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥٣.

وعذبوا سميّة أمّ عمار العجوز لكي ترجع عن دينها وتكفر، فلم تفعل فقتلوها! (١).

ومع كلّ هذا الأذى، ففي بعض الظروف طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على قومه فقال: «إنّما بعثت رحمة للعالمين» (٢)، وكان يدعو لقومه «اللهم اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون» (٣)!

فكان يريد لهم من الله الرحمن بدل العذاب، رحمة لا يتصوّر فوقها رحمة، وهي نعمة الهداية، وأضاف القوم إلى نفسه بقوله: «قومي» ليصونهم بذلك من عذاب الله، ويكون شافعاً لهم عنده بدلاً من أن يشكّوهم إليه، ويعتذر لهم بأنهم لا يعلمون.

وكانت معيشتهم ﷺ الزهد والتقشف، فكان طعامه خبز الشعير، وما كان يأكل منه بقدر الشبع (٤).

وقد جاءت إليه الصديقة الكبرى في غزوة الخندق ومعها كسيرة من خبز، فدفعتها إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ما هذه الكسيرة؟ قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين جئتكم منه

(١) إعلام الوري ج ١ ص ١٣٢ الفصل الخامس في ذكر ما لقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذى المشركين...

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٤٣.

(٣) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٤.

(٤) الأمالي للصدوق ص ٣٩٨، مكارم الأخلاق ص ٢٨.

بهذه الكسيرة، فقال النبي ﷺ: يا فاطمة أما إنّه أول طعام دخل
فم أبيك منذ ثلاث! ^(١).

ولم يكن تقشفه كذلك بسبب قلة ذات يده، فقد كانت تصل
إليه في نفس تلك الأيام الأموال فيقسّمها ويهب ويتصدق، حتى
أنّه كان يعطي لشخص واحد مئة بعير! ^(٢).

وقد فارق الدنيا وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا غلاماً ولا أمةً،
ولا شاةً ولا بعيراً، وكانت درعه مرهونة عند يهودي على عشرين
صاعاً من شعير، اشتراها لقوت عياله! ^(٣).

ولا بدّ من التأمل في نقطتين:

الأولى: لا شك أن اليهودي لم يكن يطلب من النبي ﷺ
الوثيقة، لمكانته وأمانته، لكنّه ﷺ قصد أن يراعي قانون الرهن
عند عدم كتابة الدين، ليكون المال وثيقة عند الدائن، حتى لو
كان الدائن يهودياً، والمدين أكبر شخصية في الإسلام.

الثانية: أنه كان في متناول النبي ﷺ أطيب الأطعمة والألذّها،
لكنه اكتفى إلى آخر عمره الشريف بخبز الشعير، حتى لا يكون
طعامه أحسن من طعام أضعف رعيّته!

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٤٠ باب ٣١ ح ١٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٥٣.

(٣) قرب الإسناد ص ٩١.

نموذج من إيثار النبي

إنَّ مكانة فاطمة الزهراء سلام الله عليها معلومة عند الخاصة والعامة؛ فإنَّ كتب الفريقين مشحونة بفضائلها، وقد قامت في محرابها حتى تورَّم قدمها^(١) تأسياً بأبيها، وكانت مع استغراقها في عبادة الله تقوم بإدارة بيت ولي الله وتربية أبناء رسول الله، حتى أنَّ النبي ﷺ دخل عليها ذات يوم فرآها تطحن بالرحى وترضع ولدها فدمعت عيناه^(٢).

ورآها علي عليه السلام وقد استقت بالقربة حتى أثار في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، فقال لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضر ما أنت فيه، وجاءت إلى أبيها فاستحيت، وانصرفت، فعلم النبي ﷺ أنها جاءت لحاجة، فجاءها وسألها عن حاجتها، وأخبر علي عليه السلام رسول الله ﷺ بما أصابها من الضر والضرر الشديد.

قال ﷺ: أفلا أعلمكما ما هو خيرٌ لكم من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسيبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين،

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤٢، مكارم الأخلاق ص ١١٧.

وكبراً أربعاً وثلاثين، قال: فأخرجت فاطمة رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله ثلاث دفعات^(١).

ذلك الأب الذي كان متمكناً أن يملأ بيت ابنته ذهباً وفضةً ويستخدم لها عبيداً وإماءً، ولا يرد عن بابه ذا حاجة إلا بقضاء حاجته، أمسك عن استخدام خادمة لسيدة نساء العالمين، التي كانت بضعة منه، ويريبه ما أرابها^(٢)، في مثل هذه الحاجة الملحة لبنته التي هي أحب الخلق إليه، إيثاراً لفقراء أمته على مهجة قلبه.

هكذا كانت سيرة الذي بعثه الله لأن يرَبِّي أمته بقوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣).

(١) علل الشرايع ج ٢ ص ٣٦٦ باب ٨٨ علة تسبيح فاطمة (عليها السلام) وبتفاوت في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢١١، مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٨٠، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٤١، ومصادر أخرى للخاصة. ذخائر العقبى ص ٤٩، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٨٠ و ٩٦ و ١٠٦ و ١٣٦ و ١٤٦ و ١٥٣، صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨ وج ٦ ص ١٩٣ كتاب النفقات باب خادم المرأة وج ٧ ص ١٤٩ كتاب الدعوات باب التكبير والتسبيح عند المنام، صحيح مسلم ج ٨ ص ٨٤، سنن أبي داود ج ٣٠ ص ٤٨٩، المستدرک علی الصحيحین ج ٣ ص ١٥٢، السنن الكبير للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٣، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٠٠، مسند أبي يعلى ج ١ ص ٤١٩، نظم درر السمطين ص ١٨٩، تهذيب الكمال ج ٢١ ص ٢٥٣، مسند أبي داود الطيالسي ص ١٦ ومصادر أخرى للعامة.

(٢) فضائل الصحابة ص ٧٨، مسند أحمد ج ٤، ص ٣٢٨، صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٨ وسيأتي بعض المصادر المذكورة في صفحة ١٩٣.

(٣) سورة الحشر: ٩.

كان ﷺ يجلس على الأرض^(١).
 ويأكل مع العبيد، ويسلم على الصبيان^(٢).
 وكان يأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد^(٣).
 مرت به امرأة بدوية وكان يأكل وهو جالس على الأرض،
 فقالت: يا محمد، والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه.
 فقال لها رسول الله: ويحك أي عبد أعبد مني؟^(٤).
 وكان يرقع ثوبه^(٥).
 ويحلب عنز أهله، ويجيب دعوة الحر والعبد^(٦).
 ويعود المرضى في أقصى المدينة^(٧).
 ويجالس الفقراء، ويؤاكل مع المساكين^(٨).

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٩٣.

(٢) الأمالي للصدوق المجلس السابع عشر ح ٢، ص ١٣٠.

(٣) المحاسن ص ٤٥٦ باب ٥١ ح ٣٨٦.

(٤) المحاسن ص ٤٥٧ باب ٥١ ح ٣٨٨، الكافي ج ٢ ص ١٥٧.

(٥) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

وكان إذا صافحه أحد لم يجز يده من يده حتى يتركها الآخر^(١).

ويجلس حيث ينتهي به المجلس^(٢).

ولا يثبت بصره في وجه أحد^(٣).

يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٤).

وأتاه رجلٌ يكلمه فأرعد، فقال له: هوّن عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القدر^(٥).

وقال خادمه أنس بن مالك: خدمت النبي ﷺ تسع سنين، فلم أعلمه قال لي قط هلا فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط^(٦).

بينا هو ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ، فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها النبي شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدية من ثوبه، ثم رجعت!

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٦ الفصل الثاني في نبذ من أحواله.

(٦) المصدر السابق.

فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ثلاث مرات، لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً! ما كانت حاجتك إليه؟!

قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه، ليستشفي بها، فلما أردت أخذها رأيته فقام فاستحييت منه أن أخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها^(١).

وهذه الحادثة تدلّ على اهتمامه ﷺ بكرامة الإنسان؛ لأنه ﷺ تفتن إلى حاجة الجارية وكرامتها للسؤال، وقام من مكانه أربع مرات من أجل قضاء حاجتها، ولم يستنطقها لئلا تقع الجارية في ذلّ السؤال، فالذي يحافظ على حرمة جارية وكرامتها، بهذه الدقة والأدب، إلى أي حد تكون قيمة الإنسان وكرامته في نظره؟!

وفي الوقت الذي كان اليهود يعيشون في دولته على العهد والذمة، وكان هو في أعلى درجات القدرة، كان لأحدهم على رسول الله ﷺ دنائير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك. فقال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تقضيني! فقال: إذاً اجلس معك، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة!

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٢.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله ﷺ إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟

فقال: لم يبعثني ربي ﷻ بأن أظلم معاهداً، ولا غيره. فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشرط مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب، ولا متزین بالفحش، ولا قول الخنا. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وهذا مالي، فاحكم فيه بما أنزل الله، وكان اليهودي كثير المال^(١).

عن عقبة بن علقمة قال: «دخلت على علي ﷺ، فإذا بين يديه لبن حامض آذاني حموضته، وكسرة يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا؟! فقال لي: يا أبا الجنوب [الجنود] إني أدركت رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا، فإن أنا لم آخذ بما أخذ به رسول الله خفت أن لا ألحق به»^(٢).

(١) الأمالي للصدوق المجلس ٧١ ح ٦، ص ٥٥٢.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٥٨ شرح البلاغة لأبن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠١.

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة: «أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي، كعبادة جدي عند عبادة رسول الله»^(١).

وفي ختام حياته عفى عن قاتله^(٢)، وأظهر بذلك تخلّقه بأخلاق الله تعالى بظهور الرحمة الرحمانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

إنّ مثل هذا الرسول العظيم يستطيع أن يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٤).

وأنى يتيسر شرح فضائله الأخلاقية، والله تعالى يقول له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).

إنّ مطالعة يسيرة في حياته وأخلاقه وسجاياه فقط تكفي المنصف لأن يؤمن بنبوته ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٦) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٧، بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٩.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٨ كتاب الإيمان والكفر، باب العفو ج ٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) جمع البيان ج ١٠ ص ٨٦.

(٥) سورة القلم: ٤.

(٦) سورة الأحزاب: ٤٥ ٤٦.

المحتويات

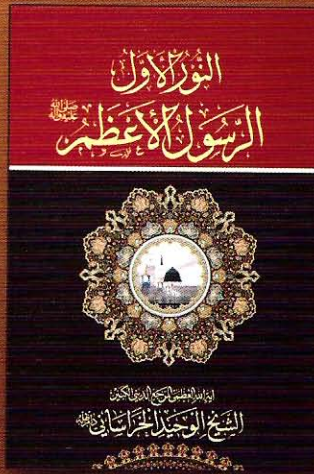
٥	مقدمة الدار
٧	الرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ
٧	ولادته ﷺ:
٨	أسماءه ﷺ:
٨	صفاته ﷺ:
٨	عناوينه ﷺ:
٨	كناهه ﷺ:
٩	فضائله ومناقبه ﷺ:
١٧	مواعظ النبي ﷺ:
٢٢	التحاققه ﷺ بالرفيق الأعلى
٣٤	الملحق «١»

أشعة من حياة رسول الله ﷺ ٣٤

نموذج من إيثار النبي ﷺ ٣٩

نماذج من تعامله وأخلاقه ﷺ ٤١

سلسلة النور



حملة ثامن الحجج ولجنة أم البنين الخيرية

موبايل ٩٦٠٧٤٤١٩/٠٠٩٦٣-٩٨٨٤٥٣٩٠٩/٠٠٠٩٦٣

دولة الكويت ٦٥٠٩٧٨٨/٠٠٩٦٥-٥٦٥٥٥٥٠/٠٠٠٩٦٥

القرين: ص.ب. ٥٢٠ البريد الإلكتروني: aadeltv@hotmail.com

